

المنهج الإثنوغرافي وآلياته:

آفاق واسعة للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية

The ethnographic method and its mechanisms:

broad horizons for research in the social sciences and humanities

علي منصور*  جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله

aliloumans72@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/02

تاريخ الإرسال: 2024/07/16

ملخص:

إن ظهور المنهج الإثنوغرافي أواخر القرن العشرين كمنهج نوعي ملائم للدراسة شكّل بديلاً للمناهج الكمية التي كانت سائدة، فهو يسعى إلى دراسة السلوك الاجتماعي والإنساني من خلال تفاعل الباحث مع العينات التي يخالطها، وأساليب تعامله مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة بهدف فهم أحاسيسهم وأفكارهم ومعتقداتهم، واستكشاف جزئيات حياتهم، وتفصيل واقعهم، وباعتماده لأساليب التبصّر، والاستكشاف، والملاحظة الفعلية للظواهر والسلوكيات، وكشف الممارسات المقصودة والعفوية وتحليلها لاستنتاج الدلائل الكافية والحجج القوية، مما يفرض ملازمته لحقل الدراسة، وهو ما تساعد عليه طبيعة المنهج الإثنوغرافي التي تتميز بالمرونة، فهو بحث غير مُقنّن، كما أنه لا يخضع لضبط سابق للمتغيرات، وإنما يقوم على الملاحظة، والتأمّن من أصول جمع المادة الحقلية، والإقامة في المجتمع محل الدراسة، وإتقان لغته، والتزام الموضوعية. وذلك هو مضمون المبادئ المنهجية التي وضعها (برونيسلاف مالينوفسكي) (Bronislaw Malinowski) بناء على خلفيات فلسفية ومفاهيم نظرية مناقضة للمفاهيم التقليدية للبحوث الكمية والإحصائية، ليؤسس الجزء الأساسي للهدف من الإثنوغرافيا.

الكلمات المفتاحية: الإثنوغرافي، الملاحظة، المنهج، الدراسة، السلوك.

Abstract:

The emergence of the ethnographic method in the late twentieth century as an appropriate qualitative method of study represented an alternative to the quantitative methods that were prevalent. It seeks to study social and human behavior through the researcher's interaction with the samples he comes into contact with in the community that is the subject of the study, to understand their feelings, thoughts, and beliefs, and to explore the details of their lives and reality, adopting methods of observing intentional and spontaneous phenomena and behaviors to be analyzed with the aim of extracting sufficient evidence, this is helped by the flexible nature of the ethnographic method, as it is research that is not codified, and is not subject to prior control of variables, but it has its own characteristics, the principles of which were established by (Bronislaw Malinowski) which aims to establish the essential part of the goal of ethnography.

Keywords: Ethnography, Observation, Method, Study, Behaviour.

1- مقدمة:

لقد كانت المناهج التي تعتمد على التحليل الإحصائي والبيانات الكمية هي المتداولة والمسيطرة في مجالات البحث المختلفة قبل الربع الأخير من القرن العشرين، ولكن بعد هذه الفترة ظهر المنهج الإثنوغرافي ليشكل أحد أهم المناهج النوعية البديلة والملائمة للدراسة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية. وهو يعتمد في منطلقاته على خلفيات ومفاهيم نظرية وفلسفية مناقضة للمفاهيم التقليدية لتلك البحوث التي تعتمد المبادئ الكمية والإحصائية، وتنطلق من فرضيات مسبقة تسعى إلى إثباتها، وتهدف إلى تحديد الأسباب، وتقديم التنبؤات، وتعميم النتائج.

فما هي إذن المقومات التي جعلت منه منهجا متميزا في مجال البحث؟

2- المنهج الإثنوغرافي ومواصفاته:

إن من أوائل المهتمين بموضوع الإثنوغرافيا العالم البولوني الأصل. (برونيسلاف مالينوفسكي) (Bronislaw Malinowski) (1884-1942)، فهو أول من وضع منهجية لها، وقد تضمنت مقدمته الشهيرة لكتابه: (مغامرو المحيط الباسيفيكي الغربي) تنظيره المتمثل في وصف المبادئ المنهجية والجزء

الأساسي من هدفها الرئيسي، والذي هو حسب رأيه فهم رأي الفرد وعلاقته بالحياة ورؤيته لعالمه. ولتحقيق أهدافه سافر سنة 1914م إلى بابوا بغينيا الجديدة، وأجرى أبحاثاً ميدانية في مايلو، ثم انتقل إلى كيولا في جزر تروبريان من أرخبيل ميلانيزيا من 1914 إلى 1918م، فتعلّم لغة القبائل، واستعان بالمواطنين لجمع المعلومات، وشارك في الأنشطة اليومية ملاحظاً الحياة الاجتماعية، فتمكّن من التغلغل والتعرّف على تفاصيلها ووضع مجموعة من المؤلفات في وصفها، فكان أول من صاغ) قاعدة الارتكاز في المنهج الإثنوغرافي) أي الملاحظة بالمشاركة، وطورها.

وضمن هذا المنظور يسعى البحث الإثنوغرافي إلى دراسة السلوك الاجتماعي والإنساني من خلال أساليب تفاعل الباحث مع أفراد المجتمع الذين يندمج معهم اعتماداً على التبصّر والاستكشاف لفهم واقعهم وأحاسيسهم وأفكارهم ومعتقداتهم، وعلى ملاحظة الظواهر والسلوكيات لاستنتاج الدلائل المقنعة، مما يستلزم ملازمته لحقل الدراسة. ويرجع هذا إلى طبيعة المنهج الإثنوغرافي غير المُقنّن، والمرن في الطريقة والتحليل، فهو "لا يخضع لضبط سابق للمتغيرات، كما أن له القدرة على الكشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة" (السلطان، دت، الصفحات 12-13)، وهذا يتشكل عامل ظهور الفوارق، حيث تختلف النتائج المحصلة عن نظيرتها في البحوث الكمية.

ويشير كل من مايلز وهوبرمان إلى التحول الكبير لاستخدام البحوث النوعية، وكذا تطبيق المنهج الإثنوغرافي منذ ثمانينيات القرن الماضي في مجالات كانت تستخدم المنهجية الكمية، مثل: التربية، وعلمي النفس والاجتماع، والإدارة، والتخطيط، واللغات، والاقتصاد، وغيرها من العلوم الإنسانية، نظراً إلى ما يحققه من معلومات نوعية تحليلية تعتمد التعمق والوصف المكثف لتفسير الظواهر بربطها بسياقها المحلي، إذ إن الوصف المكثف (Thick Description) يتطلب استخدام التحليل والتفسير باعتماد المحاور والتعبير وليس الإحصاءات والأرقام والجداول. وقد قاد باحثون أوروبيون وأمريكيون حركة التحول هذه خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين بعد تجربة طويلة في مجال البحوث الكمية؛ مقتنعين بالأبعاد الثقافية والإنسانية والسياسية للمناهج النوعية في بيئتها، وبما حققتها من نتائج اجتماعية وتربوية وتحليلات شمولية فاقت نتائج المناهج السابقة. وباعتبار المنهج هو المسلك الذي ينتهجه الباحث للوصول إلى المعرفة باعتماد قواعد علمية وعمليات منطقية يتبعها العقل والحس لتحقيق نتيجة، و"باعتباره أحد الميادين الأساسية للمنطق، كما أنه أهم أجزائه" (André, 1951, p. 293)؛ جاءت الحاجة إلى المنهج الإثنوغرافي من باحث علمي، فكان وسيلة الباحث للوصول إلى معرفة مؤسّسة علمياً ومنطقياً. ونظراً لتنوع أساليبه بين الملاحظة المباشرة، والملاحظة

بالمشاركة أثناء معايشة الأفراد والفئات موضوع الدراسة وممارساتهم الطبيعية لسلوكياتهم لرصد آثارها في واقعهم وحياتهم؛ فقد اعتمد البحث الوصفي أو منهج المسح مركزا له.

ولم يختلف المنهج الإثنوغرافي من حيث إجراءاته واهتمامه بوصف الثقافات المختلفة ورصد الظواهر الاجتماعية والإنسانية ونقل الوقائع عن أسلوب الكثير من الرحالة والمستكشفين المسلمين والأوروبيين (كابن بطوطة) و (كريستوف كولومبوس)، حيث قاموا تلقائيا بذلك قبل ظهور هذا العلم دون قصدٍ للتأسيس له، غير أن الإثنوغرافيا الحديثة تعتمد في إجراءاتها منهجا علميا يتسم بمرونة التحليل، وتحري الدقة لبلوغ الحقيقة، وبالقدرة على كشف الظواهر ومراقبة السلوكيات العفوية بواسطة الملاحظة، وذلك ما يشكل إطارا منهجيا، وإبداعيا للعمل وإظهار قدرة الباحث على جمع معلومات جمة.

لقد انطلق المنهج الإثنوغرافي "من رؤية إبستمولوجية تعتمد على التفسير والتأويل، والاستجابة الذاتية الفردية" (السلطان، د.ت، صفحة 28)، فهو يركز على الظواهر والسلوكيات في إطارها الطبيعي الواقعي، ثم يحللها ويفسرها شموليا مستخلصا النتائج والرؤى استجابة لقواعد المنهج، وهو ما ذهب إليه ولسون (Wilson) عندما أكد أن الدراسة الإثنوغرافية تقوم على ركيزتين: أولاهما الاعتماد على الطبيعة. والثانية هي التحليل النوعي للظاهرة. ولا يعني اعتبار نتائج هذا الفهم الشمولي للظواهر قواعد ثابتة أو قوانين لا يمكن العدول عنها؛ فالإثنوغرافيا مثل المناهج الأخرى، ليس هدفها تحقيق نتائج يجب تعميمها، وإنما وصف الوحدة وتفسيرها في الإطار المكاني والثقافي والاجتماعي والنفسي للمجتمع محل الدراسة، مع إمكانية الاستفادة من نتائج في أوضاع تربوية أو اجتماعية لسياقات ثقافية مشابهة، لأن الإثنوغرافيا قد تتسم بالقصور، "فمن الصعب القيام بتعميمات واسعة بناء على العمل الإثنوغرافي نظرا لأن الإثنوجرافيا لا تستخدم عينات عشوائية أو ممثلة. وإنما يمكن الاستعانة بالدراسات الإثنوجرافية بشكل مقارن للتعرف على ما هو مشترك وما هو فريد في المجتمعات" (بوتش و كارين، 2015، صفحة 286).

ويختلف البحث الإثنوغرافي عن البحوث التقليدية في طريقة جمعه للمعلومات وتحليلها، فهي تمر غالبا بأربع مراحل متكاملة هي: جمع المعلومات أولا، ثم تنظيمها وتصنيفها، ثم اختصارها وعرضها في شكل مصفوفات وأفكار محورية، وأخيرا استخلاص النتائج والتأكد من تطابقها.

3- آليات المنهج الإثنوغرافي:

للمنهج الإثنوغرافي طبيعة خاصة ترتبط بتصميمه وأساليبه تنفيذه، فهو يعتمد مجموعة قواعد علمية وواقعية تشكل أرضية صلبة للبحث، وتهدف إلى تجسيد الموضوعية والحقيقة، ومن أهمها:

1/ الملاحظة:

وتكتسب أهمية بالغة في المنهجية الإثنوغرافية، فهي "أسلوب المعرفة أو الإدراك المحوري" (جويو، 2014، صفحة 27) والحيوي للإثنوغرافيا، باعتبارها الأداة المنهجية للمعينة المباشرة والشخصية، والاختلاط بالمصدر الأساسي للمعلومات وهو الناس، ففتح مباشرة، أو بآليات "الحصول على بيانات ومعلومات عن شخص معين أو موضوع، قصد تحديد شروطه أو صيرورته أو دلالاته أو بنياته..." (غريب، 2006، صفحة 684)، وتسهّل الاتصال بالمكان لرصد الوقائع دون الاعتماد كلياً على الخبر، حيث يراها الباحثون "تقنية أو أداة سيكوبيداغوجية واجتماعية لمعينة مجموعة من الكائنات والظواهر والوقائع، إما بطريقة عفوية مباشرة، وإما اعتماداً على مجموعة من الآليات النظرية والأدوات التطبيقية والإجرائية بغية تجميع المعلومات والبيانات والمعطيات حول شخص معين أو موضوع ما لتثبيت فكرة أو فرضية، أو إيجاد حلول علاجية أو وقائية، أو تحصيل حلول علمية أو عملية لمجموعة من التساؤلات والوضيعات التي يواجهها الإنسان، أو العالم، أو الباحث الملاحظ في العالم المرصود أو المعائن" (حمداوي، 2019 م، صفحة 98).

وللملاحظة شكلان يخضع كل منهما لاستراتيجية تملها ظروف البحث، وهما:

1/1 الملاحظة غير المشاركة:

وهي عبارة عن استراتيجية للملاحظة دون تفاعل الباحث مع المبحوثين، فلا يؤثر على حركاتهم وأفعالهم وسلوكياتهم، وإنما يكون حيادياً لا يتدخل في أي شأن. ويقتصر دوره على الملاحظة من مسافة معينة للظواهر، والتفاعلات الثقافية والاجتماعية وكل ما يتعلق بالظاهرة محل الدراسة من ملامح وغايات ومبادئ وقيم ووجهات نظر لفهمها كما هي في الواقع، بعيداً عن قناعاته الشخصية وخلفياته الثقافية والفكرية. كما لا يمكنه أثناء ذلك إخضاع ملاحظاته الميدانية لنظريات وفرضيات مسبقة يمكن أن تكون النتائج والملاحظات من ورائها مشوهة ومجانبة للصواب، مما يؤدي إلى عدم فهم الظواهر والسلوكيات، وإدراك أبعادها المختلفة ضمن إطارها الطبيعي، ووفقاً لمعطياتها الواقعية.

ومدلولاتها لدى الأفراد، وهو ما يوجب اعتماد الوضع الواقعي لفهم السلوك في سياقاته الطبيعية والعفوية دون تحكم.

2/1 الملاحظة بالمشاركة:

وتشكل أهم المقاربات لجمع المعلومات وكشف الجوانب المختلفة للبناء الاجتماعي بصورة كلية، وهي قاعدة الارتكاز التي طوّرها (مالينوفسكي) وأسس دعائمها، و"تعتمد على الإقامة الطويلة والمعيشة في المجتمع" (محبوب، 1970) المستهدف من الدراسة. في أسلوب يسمح للباحث بمحاولة الاشتراك في الأنشطة الاجتماعية لأعضاء الجماعة موضوع الدراسة بقدر ما تسمح التقاليد والظروف (وآخر، 1988، صفحة 185)، وتكتسب أهمية بالغة لدى الباحثين، حيث يركزون عليها أثناء اندماجهم بالمجتمع سعياً إلى الدقة والموضوعية، كونها "المقاربة الإثنوجرافية الأكثر استخداماً رغم وجود نطاق من الأدوار التي يمكن القيام بها في إطار هذه المقاربة" (بوتش و كارين، 2015، صفحة 308).

ويصطلح بعض العلماء على وصفها بـ(التدخل الوظيفي)، إذ يكون الباحث مجبراً على القيام بهذا الدور لتحقيق أهدافه "بحيث يترتب عليه أن يقبله أفراد المجتمع وكأنه أحدهم، وبالتالي يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته، ويُضعف شعور العداء الذي يواجهه الغريب عندما يدخل مجتمعاً ما لأول مرة" (مسلم، 1421هـ - 2001م، صفحة 230)، فمن عادات بعض الأفراد التغير من سلوكياتهم، أو إخفاء بعض الحقائق إذا اكتشفوا مراقبةً أو ملاحظةً لحركاتهم. ولذلك فعلى الباحث مشاركة الأفراد حياتهم، محافظاً في الوقت نفسه على المسافة المعرفية المدركة الكافية ليؤدي عمله بطريقة مرضية وإيجابية. ولحصوله على ثقة الأفراد، وتجنب أشكال عداوتهم، وإبعاد الشبهات حول مهمته عليه تعلّم لغتهم، وأساليب تفكيرهم وتصوراتهم والمفاهيم والقيم السائدة عندهم، ومشاركتهم تقاليدهم وعاداتهم وأزياءهم واحتفالاتهم دون الشروع في الدراسة بتوجيه الأسئلة إليهم، كما يمكنه الانضمام إلى جماعاتهم إذا سُمح له.... وهو خلال ذلك يدوّن تقاريره.

وبناء على ذلك فمن أهم أسباب تحقيق الأهداف أن يذوب الباحث في المجتمع ذوباً تاماً تتلاشى معه كل تمايزاته، وملامحه المادية والمعنوية المختلفة عن الآخر المدروس، ف"المشاركة الوثيقة، والمستمرة في حياة الآخرين تُحفّز إلى فهم البنية الحقيقية للحياة الاجتماعية من خلال انسياب العمليات المختلفة" (شو، 2010، صفحة 58)، فتكون الملاحظة بالمشاركة استراتيجية مميزة. وهنا يتلخص رأي موريس قودلييه حينما يوجّه الباحث الميداني إلى أنه يجب أن يحظى بالقبول لدى

الآخرين، ويشرح لهم أنه قادم للعيش معهم والتعرف عليهم وفهم حياتهم قبل وصول الميدان وتطبيق "الملاحظة بالمشاركة" (قودلييه، 2016، صفحة 164).

وبالنظر إلى الظروف التي قد تعيق الباحث فتأثر سلبا على البحث وموضوعيته، فإن الملاحظة بالمشاركة -ولأهميتها البالغة في الموضوع مع حساسية الأفراد المحيطة بها- ينبغي أن تتوفر على مجموعة من الخواص المميّزة، والتي لخصها (جيامبيترو جوبو) فيما يلي:

(1) إنشاء الباحث لعلاقة مباشرة مع القائمين بأعمال تراعي أفعال الأفراد وردود أفعالهم.

(2) ضرورة الإقامة في بيئتهم الطبيعية.

(3) أن يكون غرضه مراقبة سلوكياتهم ووصفها.

(4) وجوب التفاعل معهم ومشاركتهم الإجراءات الروتينية في حياتهم اليومية.

(5) ضرورة معرفة مبادئهم وقواعد سلوكياتهم، أو جزء منها على الأقل لفهم معانيها (مسلم، 1421هـ - 2001م، صفحة 28).

وخلال هذا ينبغي أن يبقى الباحث حياديا آمينا على تقديم المعلومات، والحقائق، ووجهات النظر بفاعلية وشمولية معتمدا على الأفراد الفاعلين، وهو أسلوب الإثنوغرافيين المحدثين في جمع المادة عن طريق الملاحظة بالمشاركة والاستعانة بالإخباريين للاطلاع على الخفي، وفهم الغامض؛ لأن المفترض دخول الباحث حقل الدراسة بتفكيرٍ مفتوح لمعايشة المجتمع، مركّزا على المعاينة الميدانية بتسجيل الآراء والأفكار والملاحظات مستعينا بالأفراد المؤثرين، مع إعطاء الأهمية الأكبر لاهتمامه الخاص بالملاحظة في المواقع المحددة، فلو كان الاهتمام منصبا على الفعل منعزلا، فإن ما يورده الفاعلون الاجتماعيون أثناء دراساتهم لا يمكن اعتباره بديلا كافيا وملائما لملاحظة السلوكيات الفعلية كما هي عليه واقعا. وهنا تظهر أهمية الملاحظة بالمشاركة كمصدر رئيسي وأساس مهم لأداء المهمة، مما يفضي إلى دراسة علمية، وموضوعية، ومؤثرة، ومقنعة، وهو مناط هدف الباحث.

2/ التمكن من أصول جمع المادة العقلية:

ينبغي على الباحث عند جمع مادته، وتصنيفها، وترتيبها، وتدوينها، أن يتدرب على الطرق العلمية لتحصيلها، والمرتبطة ارتباطا وثيقا بـ(الملاحظة بالمشاركة) التي يتوقف النجاح عليها. فلا بد من اعتماد مخطط لذلك، وهو ما يسميه الإثنوغرافيون بـ(المونوغراف)، أو (وثيقة الوصف المتكامل لثقافة

معينة) و"التي تتناول جماعة مجتمعية معينة، أو مؤسسة تضم عدة جماعات (تقنيات، زواج، عبادة دينية...) (لومبار، 1997، صفحة 12)، أو بعض النظم الأخلاقية، والاقتصادية، والقروية، والطقوس، والمعتقدات؛ أين تتوفر للباحث أسباب وعوامل كثيرة للتأكد من صحة الأخبار والمعلومات لربطها بالظواهر موضوع الدراسة. ولعل أهمها الاعتماد على أكثر من (إخباري) للأخذ بالمشارك بينها. وكذا التركيز على اللغة المناسبة عند الوصف الشامل، والتحليل الدقيق للظواهر، وهو ما يقود القارئ بسهولة إلى المعلومات وفهم الموضوع. وتنوعاً لأصول المواد والمحتويات ومصادرها وأساليب تقديمها من ناحية، وتفسير الدلالات المختلفة وتلخيص أهم النتائج من ناحية أخرى، يمكن الاستعانة ببعض الأشكال، أو الرسومات، أو الصور، أو الجداول التوضيحية.

وخلال تطورات الأنثروبولوجيا -التي هي الأصل لفرع الإثنوغرافيا- تبين أنها "قد بدأت من خلال إنجاز بحوث أو دراسات مونوغرافية "وصفية" (بوطقوقة، 2016)، حيث كان الباحث يبذل جهداً كبيراً لجمع المعلومات والكتابة في وصف الجماعات البشرية المختلفة، وأنماط حياتها، فاشترط بعض الدارسين وجود مرحلة مسبقة للتدريب والتخصّص وتحصيل دراسات نظرية كافية، وعمّموا ذلك على الدراسات الأنثروبولوجية، والإثنوغرافية، والعلوم الاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع. حتى إنهم رأوا ضرورة تحصيل درجات جامعية ولو دنيا على الأقل قبل ممارسة البحث الميداني (مسلم، 1421هـ - 2001م، الصفحات 232 - 233). ومن أبرز نتائج هذا التكوين اكتساب معارف علمية، وقدرات ذهنية، وتقنيات إجرائية يؤدي استثمارها أثناء الممارسة إلى نجاح البحث، فيتمكّن الباحث من جمع المعلومات، والإلمام بالموضوع، وامتلاك القدرة على إثراء التساؤلات الجوهرية، ومقارنة الأخبار والأقوال المختلفة بعرضها على أكثر من مصدر أو طرف، والرجوع إلى الثقة للتحقق من المعلومات المشتركة وتوثيقها، وكذا اكتشاف الأساليب المتنوعة لتحصيل النتائج، وما يلي ذلك من التوفيق في تحليلها وتفسيرها والتعليق عليها. ومن ثمّ يمكن اعتماد الحقائق، وقياس مدى ارتباطها بالأهداف المحققة أو المرجوة.

ولم تكن الدراسات الإثنوغرافية العربية الحديثة بمنأى عن تحقيق مثل هذه النتائج، فقد توصّلت إلى أساليب ناجعة لتكوين إثنوغرافيين في الجامعات والمعاهد المتخصصة، وتدريبهم بشكل منظم ودقيق من عدة جوانب أهمها: إتقان لغة المجتمعات موضوع الدراسة، والإحاطة بموضوع البحث، وإعداد الأسئلة الهادفة والمفيدة، وحسن اختيار الزمان والمكان المناسبين للمقابلات، وكذا الأشخاص المبحوثين مع مراعاة حالاتهم النفسية، واحترامهم وكسب ودّهم، وجعل الدليل الإخباري - إن وُجد - تحت سلطة الباحث قبل مباشرة البحث، والالتزام بالأمانة العلمية عند تدوين الحقائق والنتائج. ويضاف ذلك إلى التكوين النفسي والذاتي للباحث الذي ينبغي أن يتوفر على درجة كبيرة من

الحساسية بالجوّ العام لحقل الدراسة والتفاعلات داخله، وأن يمتلك قدرة على ربط المعلومات المختلفة بالسياق الثقافي والاجتماعي، وتحويلها إلى دلالات متصلة بموضوع الدراسة اعتماداً على عدة مصادر. ويعتبر توفّر هذه الشروط ضرورياً في الباحث لتحقيق نتائج العمل الإثنوغرافي المتمثل في الدراسة الخاضعة لأصول وقواعد محدّدة.

لقد تطوّر علم الإثنوغرافيا ليلمس جوانب متعددة من حياة الإنسان ونشاطه، فتضاعف تفاعله من حيث التركيز على طبائعه وعاداته ولغته وغيرها من الجوانب، كما تعدّى من حيث الاحتواء إلى كل ما يتعلّق بالثقافات الإنسانية المتنوّعة، وكذا "الجوانب غير المادية للثقافة محل الدراسة مثل الأعراف والتقاليد والقيم وصورة العالم" (توماس وجميلة أحمد، 2010، صفحة 12) سعياً إلى فهم طبيعة مجريات حياة الإنسان ودراسة سلوكياته في إطار بيئته وثقافته، ومدى إسهام ذلك في بناء حضارته، حيث إنّ "ظاهرة التنوع الثقافي -التي تشكّل الموضوع الأساسي في الدراسات الإثنوجرافية المقارنة- تساعدنا ولا شك على فهم مسار الحضارة الإنسانية، إذ إن التنوع الثقافي يساهم، بلا جدال، في التغيير والتطور الإنساني في مجمله" (فهيم، يونيو، 1989، صفحة 46). وبهذا الأسلوب انصب اهتمام كثير من الرحالة على وصف الجماعات، والقوميات، والإثنيات المختلفة، وعاداتها، وتقاليدها، وأدائها، وأخلاقها، وأعرافها، وأساليب عيشها، وسير حياتها، ونظمها، إضافة إلى وصف البلدان، والأقاليم، والأماكن، فتنوّعت رحلاتهم لتكشف عن ذلك التنوع الثقافي بين الأجناس المختلفة. وقد تطرّق الرحالة أبو عبد الله المقدسي في رحلته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) بالتفصيل إلى تلك الموضوعات وغيرها مما هو من صميم الوصف الإثنوغرافي لأساليب حياة الشعوب، مؤكّداً -وكأنه قد تنبأ بذلك- على ضرورة (وجود علم خاص) بالبحث في هذا الميدان، وذلك في مقدمة رحلته. حيث قرر ما يلي:

"أما بعد، فإنه ما زالت العلماء ترغب في تصنيف الكتب لئلا تدرس آثارهم، ولا تنقطع أخبارهم، فأحببت أن أتبع سُننهم، وأقفو سُننهم، وأقيم علماً أحبي به ذكري، ونفعاً للخلق أرضي به ربي، ووجدت العلماء قد سبقوا إلى العلوم فصنّفوا على الابتداء ثم تبعتهم الأخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه، فرأيت أن أقصد علماً قد أغفلوه، وأنفردت بغيري لم يذكره، إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار، والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها المشهورة، ومدنها المذكورة، ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة، وعناصر العقاقير والآلات، ومعادن الحمل والتجارات، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم، ونقودهم وصروفهم، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم، ومعرفة مفاخرهم وعبوبهم، وما يحمل من عندهم وإلهم، وذكر مواضع الأخطار في المنارات، وعدد المنازل في المسافات، وذكر السبّاح

والصّلاب والرّمال، والتّلال والسّهول والجبال، والحوابر والسّماق، والسّمين منها والرّفاق، ومعادن السّعة والخصب، ومواضع الضيق والجذب، وذكر المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم، والممالك والحدود والمصادر والجروم، والمخاليف والزمرم، والطّسايح والتخوم، والصنائع والعلوم، والمباحس والمشاجر، والمناسك والمشاعر، وعلمت أنّه باب لا بد منه للمسافرين والتجار، ولا غنى عنه للصالحين والأخيار، إذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبرا، وتطلبه القضاة والفقهاء، وتحبه العامة والرؤساء، وينتفع به كل مسافر، ويحظى به كل تاجر" (البشاري، 1411 هـ / 1991 م، الصفحات 1 - 2).

3/ الإقامة في المجتمع/الهدف:

تُعَدّ الإقامة لمدة كافية في مجتمع مختلف بمكوناته وقيمه من أهم الشروط المنهجية لتحقيق الأهداف والنتائج، حيث تستلزم ظروفُ دراسته ومعرفة أحواله معيشةً أفرادهِ والاندماج معهم، وربطهم ببيئتهم خلال جميع مراحل البحث. إذ يُعتبر الباحثون "الإقامة بالمجتمع محلّ الدراسة مدة لا تقل عن عام بأي حال من الأحوال شرطاً أساسياً للقيام بالدراسة الإثنوغرافية الحقلية، حتى يتسنى للباحث الوقوف على وقائع الأمور الحياتية لمجتمع الدراسة إبان الفصول المتعاقبة وعلى مدار السنة" (فهم، يونيو، 1989، صفحة 59)، فتكون الدراسة مركّزة تسمح له بمعاينة طبيعة الحياة، وأنشطتها، وطقوسها.

ولا يختلف معظم الدارسين كثيراً حول مدة الإقامة، ذلك أن العبرة تتعلّق أساساً بطبيعة المجتمع، والتركيز على الظواهر ورصدها ودراستها، بحيث يتم ذلك في فترة مناسبة. وللقيام بذلك يرى آخرون أنه "على الباحث أن يقضي فترة كافية في مشاركة أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، ويجب ألا تقل تلك الفترة عن عام، ويرى بعض العلماء أن ستة أشهر قد تكون كافية، ولا شك أن تحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة، مثل: حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها دراسة مركّزة" (مسلم، 1421 هـ - 2001 م، صفحة 233)، فقد أقام العالم (مالينوفسكي) بين قبائل (التروبرياندا) أربع سنوات، وكانت مدة كافية للتغلغل في المجتمع ودراسة الأنماط التي تشكل بناءه بشكل عميق، فكتب عنها عدة مؤلفات.

ويضاف إلى ذلك جهد الباحث، وتركيزه العميق على تحقيق الأهداف المتمثلة في إدراك العوامل التي تشكل خلفية للسلوكيات، والأفكار، والقناعات. مما يستدعي إقامة علاقة متميزة بالمبحوثين لكسب ثقتهم وتعاونهم، ويتحقق ذلك بأدوات أقلّ رسمية كالملاحظة بالمشاركة، والاندماج، والمعايشة (السلطان، د.ت)، ولكنه قد يواجه عراقيل تعيق الأداء الأكمل لمهمته، ومنها حساسية بعض الأفراد من وجود غريب بينهم يراقب سلوكياتهم، مما يتسبّب في صعوبة تأقلمه بمعاداتهم له، أو استنكارهم

لعمله على الأقل، ولكنها رغم ذلك ظروف وعوامل تقتضي وبشكل حتمي إقامته مدة كافية بينهم، لأن طبيعة البحث الإثنوغرافي الذي يعتمد بشكل مطلق على الباحث وجهوده تتطلب الجمع المكثف للمعلومات والبيانات، والتحقق منها، ومعالجتها، وتصنيفها، واستخلاص النتائج وتحليلها، اعتماداً على إجراءات محدّدة، وأدلة كافية، حيث يتوقف اكتمال العمل على قيامه بهذا الدور الصعب خلال فترة إقامته في ذلك المكان الغريب عنه.

ويمكن إرجاع الصعوبات التي تعترضه إلى أسباب أهمها بُعده عن بيئته، حيث يواجه اختلاف الثقافات والظروف الاجتماعية، والخصائص النفسية، والقناعات بين أفراد المجتمعات، والخوف من الآخرين وردود أفعالهم، وما قد يواجهه من مشاكل اجتماعية، أو سياسية، أو أمراض وأوبئة، فيجد نفسه منذ البداية غريباً. كما أنه ومن الناحية النفسية لا ينبغي تجاهل أهمية مزاجه وطباعه، فقد يخفق باحثٌ في دراسة مجتمع معيّن، وينجح في غيره نتيجة عوامل مختلفة، أهمها الشعور بالارتياح أثناء العمل، والقدرة على النشاط الإيجابي، والرضا بالشروط الواقعية المتوفرة. وفي سياق تلك الظروف المتشابهة فإن الباحث مُجبرٌ على توفير آليات لنجاح عمله، واعتماد كل الوسائل المساعدة على تحقيق أهدافه، وتأقلمه مع الحياة الجديدة التي يرغب في اكتشافها، وهو ما يشكل حافزاً للتفكير في الأسلوب الملائم للتعامل مع المعطيات الجديدة، ومع الآخر الذي قد يُدين عمله، أو يرفضه في البداية على الأقل بالنظر إلى أن "تطبيق منهجية الإثنوغرافيا في دراسة الثقافات الغربية عن ثقافة الباحث مسألة تختلف كثيراً عن إجراء أبحاث الإثنوغرافيا في هيئة أو منظمة ما (مدرسة، أو منظمة خدمة اجتماعية أو أعمال تجارية) تكون جزءاً من ثقافة الباحث الخاصة به" (جوبو، 2014، صفحة 37)، فالتعامل يختلف بين البيئة الشعبية، والرسمية، فالشعبية تتطلب قدرة كبيرة على تحمّل المشاق، واستعداداً نفسياً وعقلياً وجسمياً للتكيف مع الأجواء الجديدة كتغيّر عادات الأكل والشرب والملبس والمسكن، وأسلوباً فعالاً للتعامل مع المستجدات كالظروف غير الصّحيّة المنتشرة في بعض المجتمعات.

وبالنظر إلى أن البحث الإثنوغرافي ينطلق من قاعدة الارتباط الشديد للسلوك الإنساني بالبيئة، فيتأثر بالعادات، والتقاليد، والقيم، فإن الوصول إلى الفهم الصحيح، والتفسير السليم للسلوكيات، والتأويل المقنع للملاحظات، والتحليل المفيد للنتائج يفرض معرفة شاملة للبيئة بمكوناتها، وسياق الظواهر والسلوكيات بكل عناصره. وبهذا الاعتبار ينبغي رصد الظواهر، وتسجيل المعلومات والملاحظات والبيانات في مواقعها الطبيعية، حيث تخضع عمليات التحليل والتفسير لتلك الظروف نفسها، فتنبثق منها، وعليه فمن الضروري تأقلم الباحث مع الحياة الجديدة، ومخالطة أهلها، والتّكثيف مع بيتهم، وطبائعهم، وسلوكياتهم، وممارسة أنشطتهم، ومعرفة مذاهبهم ومعتقداتهم، وأساليب تفكيرهم،... وذلك للتعود على طريقة عيشهم وصولاً إلى نجاح المهمة وتحقيق الغاية. ويعتبر

ذلك السلوك وسيلة "مماثلة لما يقترحه الإثنوغرافيون أنفسهم كأحدى الوسائل الفعالة لكسب الثقة والتأقلم، وفهم منطقية أسلوب الحياة" (فهم، يونيو، 1989، صفحة 61). وما يجري فيها من أحداث ذات علاقة بخبرة الإنسان ومواقفه، وأنماط عيشه وتفكيره، وفهمه لسير حياته، وفلسفته فيها. ولذلك يأتي دور المناهج النوعية الإثنوغرافية لفهم الخبرة الإنسانية بناء على المواقف الاجتماعية اليومية حيث الاهتمام بالتفسير والفهم الإنساني للظاهرة من الداخل، إذ يعتمد الباحثون أساليب تقوم على الملاحظة والمقابلة والوثائق الشخصية والمعايشة المطوّلة للوصول إلى بيانات إثنوغرافية - وصفية - كيفية، وذلك لرؤية العالم كما يراه المشاركون في الخبرة الإنسانية موضوع الدراسة.

ومنه فإن من أبرز مميزات البحث الإثنوغرافي اعتماده على الآليات المساعدة على جمع المعلومات مثل: الحرص على رصد الظواهر والمشاهدات اليومية وتدوينها، وتسجيل البيانات والملاحظات، وتحليل الوثائق المتعلقة بالبحث، وإجراء المقابلات والحوارات... ولا يتاح ذلك إلا بإقامة الباحث الكافية للاتصال الوثيق بالأهالي، والمرافقة المستمرة للأفراد، والاشتراك في شتى جوانب أنشطتهم لتحقيق أهداف الدراسة.

4/ إتقان لغة المجتمع المستهدف:

تُعدّ اللغة وسيلة تعبيرية للدلالة على الأشياء، وعلامة رمزية للإشارة إليها، إذ يرمز الإنسان من خلالها إلى مكونات ثقافته، وعناصر حضارته، وتكتسب أهمية كبيرة عند جميع الأمم والمجتمعات الإنسانية لأثرها الكبير في رسم صورة حضاراتها، ومدى تميزها، فهي الوسيلة الأساسية للتعبير عن تراثها، وقيمها وثقافتها. كما تربطها بعض المجتمعات ربطاً عميقاً بمكانتها، فتجعل من الرموز اللغوية التي تستعملها في مناسباتها الوطنية، والدينية، والثقافية، والسياسية مظهراً لإبراز أبعاد حضاراتها وخلفياتها التاريخية، وتجسيد ثقافتها المتجذرة.

وتشكل اللغة في الدراسات الإثنوغرافية القلب الذي يحتضن ثقافة المجتمع المستهدف من الدراسة، والوعاء الفكري الذي يترجم تصورات، ويكشف المفاهيم السائدة فيه، ويعبر عن سلوكيات الإنسان الاجتماعية. وبهذه الاعتبارات "لا نستطيع التعرف (مثلاً) على ثقافة مجتمع وعاداته وتقاليده ما لم نعرف لغته بعناصرها وبنيتها الكلية والجزئية" (مسلم، 1421هـ - 2001م، صفحة 147). فهي عامل مساعد للاطلاع على تراثه، والتوغل بشكل عميق داخل منظومته لتفكيك مكوناتها، وتفسير عناصرها بشكل ينسجم وحقيقتها في الواقع الطبيعي لوجودها. كما أنها من أسباب استقصاء المعرفة من أصولها، ليكون بذلك تفسير الوقائع تفسيراً باطنياً من عمق المجتمع، وهو الاتجاه الحديث في الدراسات الإثنوغرافية (فهم، يونيو، 1989، صفحة 59). ومن هذا المنظور فإن اللغة أيًا كان

مستواها تعتبر رمزا من الرموز الدالة على العناصر الحضارية للشعوب، ولذلك أوصى الإثنوغرافيون الأوروبيون الرواد بضرورة معرفتها لإدراكهم صلتها الوثيقة بالثقافة، ودورها في سهولة التواصل. وضمن هذا المسار تتحدد وظيفتها في الدراسات الإثنوغرافية، وهو ملمح نجده أيضا لدى دارسي فقه اللغة الذين يستعينون بها لدراسة التراث الشعبي، حيث يعملون على اعتبارها "وسيلة لفهم التراث الأدبي لشعب من الشعوب" (مسلم، 1421هـ - 2001م، صفحة 146).

وإذا كانت اللغة أساسا عاملاً لتسهيل التواصل بين الباحث وأفراد المجتمع، فهي من أبرز شروط نجاح (الملاحظة بالمشاركة) كما ذهب إليه العالم (إيفانز بريتشارد)، حيث ينبغي استخدام اللغة الوطنية لأفراد المجتمع، والاستغناء عن المترجم الذي قد يفشل في نقل الأفكار بدقة (مسلم، 1421هـ - 2001م، صفحة 233). ذلك أن الاطلاع على المعارف والإحاطة بها عادة ما ينعكس في ما يكتبه الباحث بلغته، فتظهر إمكانياته في استثمار لغة الآخرين واستغلالها من خلال فهمه للظواهر وتحليلها، وفي توفّره على قدرة للتبليغ بصورة واضحة وأمنية، إذ يحتاج مهارة أدبية لتفسير معاني الظواهر، ونقلها إلى لغته، وهو ما يتطلب مهارات إدراك فنيات التعبير، وأساليب الكتابة بلغة واضحة وسليمة، والصيغ اللغوية المختلفة بين اللغتين. ويحظى هذا الدور الحساس باهتمام كبير في الدراسات الإثنوغرافية والأنثروبولوجية عموماً، فمن خلاله يمكن الوقوف على علاقة لغة المجتمع بمكانته، وكيف أن الرموز اللغوية في الشعائر الدينية والمناسبات تجسد خلفياته الحضارية وثقافته. وللإشارة فإن الأنثروبولوجيا في بداياتها المبكرة -بصفتها تتناول الشعوب البدائية بالدراسة- كانت تجعل اللغة والرموز التعبيرية مادتها الأساسية، ومنذ ذلك وهي تسعى مثل الإثنوغرافيا -أحد فروعها الأساسية- إلى فهم أهمية اللغة في المجتمعات البشرية، وفي رسمها لصورة الحضارات الإنسانية.

وفي تراثنا العربي والإسلامي نقف على الإحاطة الكبيرة للبيروني بثقافة الهنود من منظورهم، ومعرفته الواسعة بشؤونهم، وأحوال حياتهم، ونظمهم الاجتماعية، وذلك بفضل إتقانه للغتهم، فقد كان دائم المقارنة بين اللغة العربية، والسنسكريتية التي بلغ في دراستها حدّاً لم يبلغه علماء عصره، وكذا المقارنة بين الحضارة الهندية والحضارتين اليونانية والفارسية لقراءته كتب التراث اليوناني وعلمه باللغة الفارسية (فهم، يونيو، 1989، صفحة 59). وهكذا تبرز أهمية اللغة لدى الباحث كعنصر يشاركه فيه المبحوثون المحليون، وغيرهم من الأجانب، وقد بيّن ذلك المؤسس الأول لمنهجية الإثنوغرافيا (مالينوفسكي) الذي وظّفها في بحثه الميداني في أرخبيل (ميلانيزيا) بجزر (تروبرياندا)، حيث استعمل لغة الأهالي مؤسسا وسيلة لكل باحث يستهدف دراسة مجتمع ما.

5/ التزام الموضوعية، وتجنب المغالاة:

يركّز البحث الإثنوغرافي كثيراً على وصف السياق الذي يشكل وعاء للسلوكيات والظواهر بعيداً عن فرض أسلوب الباحث وآرائه وقناعاته ومعتقداته، أو تفعيل نظامه، فتتجسّد أسباب حياته، ومنه يمكن توفّر عوامل تجنّب الذاتية من خلال التزامه منهجيةً للتقيد بالموضوعية، فيعتمد الوصف العفوي للسلوكيات والظواهر التي يرصدها ويحلّليها وفق ما ارتبطت به من ظروف ومعطيات.

وفي هذا السياق وضع (المقدس) أسساً كشفت عن منهجه العقلي في البحث والدراسة وأسلوب جمعه للمادة، فكانت مقدمات مهمة لتشكيل أرضية صلبة لما ينبغي أن تبنى عليه علاقة الباحث بأفراد المجتمع القائمة على عامل الثقة المتبادلة، وأصبحت اليوم قواعد أساسية في المنهج الإثنوغرافي تساعد على إضفاء الموضوعية بشكل مقصود، ومن أهمها أنه "كان يسعى إلى تقليل عنصر الذات وانحيازاته بقدر الإمكان، فهو لا يأخذ الأمور على علاتها، ولا يصيغها بما تمليه عليه أهواؤه، بل يسعى إلى التحقيق فيها، وسبر غورها عن طريق الاختلاط والحوار مع الفقهاء والأدباء، والزهاد والمتصوفين على حد سواء" (فهم، يونيو، 1989، الصفحات 57-58). وفي الإطار ذاته ينبغي أن يتفق الأسلوب المتبع وطبيعة البحث الإثنوغرافي القائم على أسس موضوعية وعلمية، إذ لا يدخل الباحث حقل الدراسة بفرضيات مسبقة، ففي سنة 1967م طوّر جلاسر (Glaser) وستراوس (Strauss) النظرية المتجذّرة (Grounded Theory) التي تتولد من أفكار المبحوثين ورؤيتهم للظاهرة المدروسة، وتعني الخروج بنظرية من خلال المعلومات والبيانات التي يجمعها الباحث (السلطان، دت، الصفحات 30-31)، ومنه تتلاشى النظريات والتصورات المسبقة، والانطباعات الذاتية والقيم والثقافة الخاصة؛ سعياً من الباحث إلى ملازمة منتهى حدود الموضوعية، فهو في سياق تدوين ملاحظاته ليس ملزماً بالتقويم والتقييم والنقد، والكشف عن آرائه وانطباعاته، فمن قواعد المنهج الإثنوغرافي وأهدافه عدم إصدار الأحكام من منظور عقائدي أو حضاري، وإنما تقديم صورة واقعية وتقديرية عن الحياة في المجتمع، وكذا "دراسة الثقافة من خلال وصفها وتحليلها، كما يراها أصحابها، وليس كما يراها الباحث" (الشماس، 2004، صفحة 163) اعتماداً على نتائج تحليل اللغة المستعملة في ذلك المجتمع.

وفي بعض الأحيان لا يؤدي النقل الأمين للحقائق حتماً إلى حجب موقف الباحث، إذ بإمكانه التعبير عن رؤيته وخياراته المعرفية بشكل منفصل عن آراء المبحوثين عند تفسير طبيعة التفاعل الاجتماعي والثقافي للجماعة موضوع الدراسة بشرط الإشارة إلى ذلك مع التقيد بالموضوعية وتجسيد التفاصيل كما هي في الواقع. إلا أن تحقيق هذا الهدف في جميع الظروف ومع كل المعطيات أمر نسبي

بالنظر إلى الباحث بصفته إنسانا يتمتع بذاتية التي يعرف حدودها، فطبيعة شخصيته، ونمط تفكيره، وخلفيات تكوينه الذهني والنفسي عناصر غالبا ما يكون لها أثر في نتائج الدراسة. ولذلك فمن الصعب مطالبته بالحد من منطلقه الثقافي أو تحيُّزه الفكري، لكنه إذا استطاع التحكم فيهما كان بإمكانه تحقيق نتائج موضوعية نوعا ما.

وبعيدا عن هذه العوامل الشخصية والنفسية التي قد تؤثر على النتائج، فإن من أهم الأسباب المساعدة على تجنب الذاتية عند النقل والتحليل أن يدوّن الباحث تقاريره في الظرف المناسب، وهو زمان ومكان حدوث الظاهرة أو المقابلة والمحاورة. وإذا تعدّر الأمر ولم يتمكن من كسب ثقة الأفراد المحاورين، أو تبديد شكوكهم حول مهمته، أو إقناعهم بوظيفته، أو تصادف مع غير ذلك من العوامل التي تمنع التقيّد بالموضوعية؛ فعليه التسجيل في الوقت الأقرب لرصد الظواهر، وهو أسلوب في التدوين يجنب عامل «التحيّز في الاختبار» أي التحيُّز في تسجيل معلومة دون غيرها.

4- الخاتمة:

لقد أثبت المنهج الإثنوغرافي كأحد أهم المناهج النوعية مرونته في تناول الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتحليلها باعتباره متحرِّراً من الضبط المسبق للتغيرات، وغير مقنّن، فوجد فسحة للتميُّز بآلياته التي جعلته يصنّع فوارق عميقة من حيث النتائج مقارنة بمناهج البحوث الإحصائية الكمية.

وبالنظر إلى الجانب التفاعلي بين المناهج المختلفة في مجالات البحث المتعددة تعتبر آليات المنهج الإثنوغرافي أكثر نجاعة لتوفير أساليب موضوعية تولّد معرفة نوعية تحليلية قائمة على الوصف المكثّف والتعمّق والتبصّر ضمن مقوماتها التي نتجت فيها، والمتمثلة في الإطار المحلي، والسياق الثقافي والنفسي، والوضع الاجتماعي، بعيدا عن الإحصائيات ولغة الأرقام. كما يعتبر هذا المنهج مسلكا فعّالا للقيام بدراسات شمولية، واعتماد آليات أشد مرونة لرصد الظواهر العفوية وغيرها، والقدرة على فهمها وتحليلها مقارنة بغيره من المناهج، ولذا وجب التنويه بإسهاماته في حقل الدراسات الإنسانية والاجتماعية، والعمل على تطوير آلياته، والدعوة إلى تفعيل إجراءاته وتطبيقها في مختلف المجالات والتخصصات.

قائمة المصادر والمراجع:

- المقدسي المعروف بالبشاري. (1411 هـ / 1991 م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- إيلاناد بوتش، وم. ستالركارين. (2015). *ممارسة الإثنوغرافيا النسوية*. تأليف شارلين ناجي هيسي باير، ولينا ليفي باتريشا، *مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقا* (صفحة 286). مصر: دار الكتب المصرية، مطابع الأهرام التجارية.
- جاك لومبار. (1997). *مدخل إلى الإثنولوجيا*. الدار البيضاء / المغرب، بيروت/ الحمراء/ لبنان: المركز الثقافي العربي.
- جميل حمداوي. (17 أكتوبر، 2019 م). *مناهج علم النفس وعلم النفس التربوي*. تاريخ الاسترداد 22 04، 2024، من <https://ketabonline.com/ar/books/96861>
- جيامبيترو جوبو. (2014). *إجراء البحث الإثنوغرافي*. المركز القومي للترجمة.
- حسين محمد فهميم. (يونيو، 1989). *أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- روبرت إيمرسون، وراشيل فرايتز، ولندا شو. (2010). *البحث الميداني الإثنوغرافي في العلوم الاجتماعية*. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
- عبد الكرم غريب. (2006). *منشورات عالم التربية*. الدار البيضاء، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة.
- عدنان أحمد مسلم. (1421 هـ - 2001 م). *محاضرات في الأنثروبولوجيا ((علم الإنسان))*. الرياض - العليا: مكتبة العبيكان.
- عيسى الشماس. (2004). *مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)*، دراسة. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- فتحية محمد إبراهيم وآخر. (1988). *مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان "الأنثروبولوجيا"*. الرياض، السعودية: دار المريخ.
- فهد بن سلطان السلطان. (د.ت). *رؤية بحثية تجديدية لتطوير واقع العمل التربوي*. جامعة الملك سعود: كلية التربية.
- مبروك بوطوقة. (03، 2016). *منهج البحث الأنثروبولوجي: الجزء 3 | 3*. تاريخ الاسترداد 16 11، 2018، من [aranthropos](https://www.aranthropos.com) أرنتروبوس: <https://www.aranthropos.com>

محمد عبده محجوب. (يوليو-أغسطس-سبتمبر، 1970). (لاقيدا أو الحياة)، عرض وتحليل لكتاب: "La vida": (Lewis, Oscar; La vida; A puerto Rican Family in the culture of poverty:" .: مجلة عالم الفكر، صفحة 268.

موريس قودلييه. (سبتمبر، 2016). الميدان وأدوات الأنثروبولوجي. أنثروبولوجيا: المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، صفحة 164.

هيلين توماس، وجميلة أحمد. (2010). الأجساد الثقافية: الإثنوغرافيا والنظرية. الجزيرة، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

André, L. (1951). *vocabulaire Technique et Critique de la Philosophie*. paris: univers de France.